الاستيطان الاسرائيلي في المناطق المحتلة في حرب حزيران

عبد الحفيظ محارب

لا نبتعد عن الحقيقة في شيء اذا قلنا ان الكيان الاسرائيلي يعود الى الاستيطان اليهودي في فلسطين . فبفضل الاعمال الاستيطانية التي بدأت بشكل ملحوظ ، في الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، واستمرت الان في فلسطين واجزاء من أراض عربية ، قامت دولة اسرائيل وتعززت بها. ذلك لان الصراع العربي الاسرائيلي يدور بالاصل حول الارض ، وقد رات الحركة الصهيونية ان خير طريقة لبلوغ أهدافها لتكوين دولة في فلسطين بناء شبكة من المستعمرات الاستيطانية في الارض العربية لتشكل عندما يحين الوقت قاعدة اساسية للدولة العتيدة . وتعتبر الاعمال الاستيطانية السمة الرئيسية للصهيونية التي تميزها عن الحركات الاستعمارية العالمية ، ذلك ان هذه الحركات تستهدف ، بشكل عام ، استغلال ثروات البلدان المحتلة ، او الخاضعة لسيطرتها ، او تطويع اقتصاد وثروات تلك البلدان لخدمة اقتصادها . اما الحركة الصهيونية فليس هذا هو مرماها الاساسي ، ولو اقتصرت مراميها على ذلك لهان الامر ، واصبحت كأية حركة استعمارية تقليدية ، فهي تسعى الى شيء آخر اكثر من ذلك وأشد خطورة منه ، تسعى للحصول على الارض. ولذلك فان الوسائل التي تتبعها لتحقيق مآربها تختلف اختلافا جذريا عن الوسائل التي تتبعها الحركات الاستعمارية المألوفة . فالحركات الاستعمارية عند استعمارها لاي جزء من العالم تعتمد اما على القوة العسكرية او على نفوذها في ذلك الجزء الذي تعتزم استعماره . أما الحركة الصهيونية المتمثلة الان في الكيان الاسرائيلي فانها تعتمد كليا بعد اعتمادها على القوة العسكرية ، على بناء لمستوطنات في المناطق التي تحتلها لخلق وقائع جديدة ، وازالة معالم قديمة ، تمهيدا للسيطرة عليها الى الابد . وليس هنالك مثيل في التاريخ الحديث للاسلوب الاستيطاني الذي اتبعته الصهيونية في استعمار فلسطين ، وتتبعه الان في المناطق العربية التي احتلت في حرب الايام الستة، الا الاسلوب الذي اتبعه الاوروبيون في استعمار اميركا وجنوب افريقيا واستراليا . وهو أسلوب يحمل بين طياته خطرا كبيرا للبلدان التي يطبق فيها ، فلولا الاستيطان الاوروبي في اميركا لما انقرض الهنود الحمر ، اصحاب البلاد الشرعيين، ولولا الاستيطان الاوروبي لاستراليا لما اوشك ابناء استراليا الاوائل على الانقراض ، ولولا الاستيطان الاوروبي لافريقيا الجنوبية لما اصبح اصحاب البلاد الشرعيين يعيشون في ظلال التمييز العنصري ، وكذلك يقال بالنسبة للشعب الفلسطيني ، فلولا الاستيطان الصهيوني لما اصبح معظم الشعب الفلسطيني مشردا بعيدا عن أرضه ووطنه !

من هنا ، تبدو لنا مدى الخطورة الكامنة وراء الاسلوب الاستيطاني الذي تتبعه دول او مجموعات بشرية للسيطرة على بلد ما . ومع ادراكنا لاختلاف دوافع وظروف الاستيطان الصهيوني عن دوافع وظروف الاستيطان الاوروبي لا يسعنا الا ان نقرر أن القاسم المشترك بينهما كان الاستيطان البشري كتمهيد للسيطرة التامة على الارض . وقد تمتع الاستيطان الاوروبي بميزتين ادتا الى نجاحه التام، بعكس الاستيطان الاسرائيلي الذي لا يزال يخوض صراعا عنيفا من اجل بقائه ونجاحه : ١ ــ طاقة بشرية كبيرة على امتداد الساحة الاوروبية ، كانت تشكل روافد كبيرة تصب في محيط الاستيطان الاوروبي ، بينما تقتصر الطاقة البشرية التي يحتاجها الاستيطان الصهيوني على ١٣ مليونا من